يا رجال التعليم الألزامى

بقلم الاستاذ البر الكبير محمد مظهر سعيد

ما كان لى أن أكتب أو أتكلم. وما كان أجدر بى أن أترك الذين تنعم والأقدر تطرب والنفس تحبش بالآمال الكبار. والفكر يتطلع إلى أفق المستقبل الزاهر. ولكن الشعور الفياض يدفعنى لأن أعترف من أعماق قلبى وبأعلى صوتى عتاقا يردده أبناء هذا الوادى من أقصاه إلى أقصاه.

الله أكبر. الله أكبر. هذا عمل للعاملين عظيم

عشرون عاما هى زهرة شبابى وخيرة أيام حياتى قضيتها فى مهنة الرسالة وصناعة النبوة وخدمة العلم. بدأتها وتفسى مشربة بتقدير العلم وأهله. وقلبى مترع بالاخلاص والتفانى فى خدمة أبنائى وطلابى غير آبه لما يتخلل طريق من أشواك. وما يعترض سبيلى من عقبات ولا ناظراً لشكر أو جزاء من بنى الانسان. مترسما خطى الرسل والمصلحين. ناهجا نهج القادة من المربين. وما أحسبنى فى هذا إلا واحدا من آلاف المعلمين. فى بلد يجرى فيه كل شىء وهم مقعدون. ويرتقى فيه كل الناس وهم محتقرون، حتى أضحوا لا يجدون فى نفوس الناس إلا صغارا. ومن القلوب إلا جحودا وإنكارا، ومن الزملاء إلا تهكما واستهتارا، ومن الرؤساء إلا تعنتا واستكبارا، فقلت فى نفسى: هذه مهاة العلم فى غير مصر نفسها نجوم ضئيلة فى مظهرها. عظيمة فى جوهرها. بعيدة كل البعد عن أعيننا وهى أقرب إلى شعورنا منا. هى أرواح أفلاطون والفزالى وغيرهم من أساتذة الشعوب ومعلمى الأمم الذين سجل الدهر أسماءهم بمداد الفخر فى سجل الخلود: فأين يارى أجدادك المعلم الذى تقوم على أكتافه نهضة مصر، والذى سينفخ فى روحها فيعيد لها مجدها القديم من جديد: أنى المدوس المفكك العرى المقطع الأوصال المنحوط الحق، المهدر الكرامة والذى إذا أحسن قيل الواجب، وإن أساء انصب على رأسه العذاب؟ ذلك الرسول الأمين والخادم المسكين الذى لا يجد فى حياته متعة ولا فى عمله راحة. يومه كأمسه وغده كيومه. حتى إذا انقضت السنون انقضى منه الجهد وانهد الحيل، وأدركه الهرم قبل أن يدركه المعاش. وأظلم الفكر واسود المنظار وانقطع الأمل وإذا بروح

من عند الله يملأ قلبي ويفيض من نور الأمل يغشى ما ركن المظلم في عقلي. فرأيت بعيني وسمعت بأذني أمورا ثلاثة متلاحقة . حققت الحلم وجسمت الأمل: أولها تأسيس نادي خريجي المعلمين العليا، وثانيها نادي دار العلوم، وثالثها وأعمقها أثرا في نفسي صحيفتكم هذه . ووالله لقد كنت بالأمس أحسبكم أناسا مستضعفين كسائر الناس: لكم أبدان نحيلة وأرجل متثاقلة، تجركم إلى مدارسكم جرا . حيث تجهدون عقولكم وتعذبون أنفسكم صبرا . وأنتم في كل هذا لا أمل لكم ترجون. ولا مستقبل إليه تتطلعون . وإذا بهذه الأيدي المتفرقة تتحد وهذه الجهود المتنافرة تستقيم وتنسجم . والقلوب الخالية يعمرها الإيمان من جديد . والأصوات الخافتة تمس ثم تتجمع وتتجمع حتى تصبح زئيرا عاليا وتغدو دويا يردده الوادي .

سبحانك اللهم خير معلم ... علمت بالقلم القرون الأولى
أرسلت بالنور الهدى موسى هاديا ... وابن البتول فعلم الإنجيلا
وفجرت ينبوع البيان محمدا ... فسقى الحديث وناول التنزيلا

صدق شوقي معلم الشعب وباني أخلاق الأمة: «لقد كاد المعلم أن يكون رسولا»

أيها المعلمون المتواضعون : لقد قمتم بالمعجزة . فأذا بأكوازكم أزهار نضرة يتضوع أريجها في كل مكان . وأول غرسكم شجرة مباركة طيبة . فسيروا إلى الأمام وارفعوا الرأس عاليا فقد حطم كل فخار، أو حلقوا بأجنحتكم في سماء العلم فقد سموتم فوق سائر الناس ، وقولوا في أنفسكم : لقد غيرنا ما بأنفسنا فغير الله ما بنا ، وسدد خطانا ووفق جهودنا واهدنا سواء السبيل.

هذا عهد الله علينا وإنا له لحافظون . اللهم إنا في سبيلنا ماضون ، ورسالة العلم ناشرون، وبحبل الصبر والتقوى متمسكون . حتى نعيد لمصر مجدها الأثيل ونجدد تاريخها القديم النبيل.

محمد مظهر سعيد
أستاذ علم النفس بمعهد التربية وكلية أصول الدين

- كلام العاقل كله مثال وكلام الجاهل كله ملال (سابور بن أردشير)
- سلطان الملوك على أجسام الرعايا لا على قلوبها (هرمز بن سابور)
- المروءة اسم جامع للمحاسن كلها (بهرام بن هرمز) .
- القلوب تحتاج الى أقواتها من الحكمة، كما تحتاج الأبدان إلى أقواتها من الغذاء. (كسرى أنوشروان)